شرح الاربعين النبوية

(١)
(٢)
الاعتقادات

بقلم

محسن الحسيني الجلالي

تحقيق

محمد جواد الحسيني الجلالي

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

الطبعة الثامنة
١٤٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الأربعين النبوية

روى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتاب الخصال بإسناده عن النبي ﷺ قال: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أخبرني ما هذه الأحاديث؟ فقال ﷺ:

١- أن تؤمن بالله وحده لا شريك له.

٢- وتعبده ولا تعبد غيره.

٣- وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها، ولا تؤخرها؛ فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل.

٤- وتؤدي الزكاة.

٥- وتصوم شهر رمضان.

٦- وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً.

٧- وأن لا تعق والديك.

٨- ولا تأكل مال اليتيم ظلماً.

٩- ولا تأكل الربا.

١٠- ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة.

١١- ولا تزن.

١٢- ولا تلوط.

١٣- ولا تمشي بالنميمة.

١٤- ولا تحلف بالله كاذباً.

١٥- ولا تسرق.

١٦- ولا تشهد شهادة زور لأحد، قريباً كان أو بعيداً.

١٧- وأن تقبل الحق ممن جاء به، صغيراً كان أو كبيراً.

١٨- وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً.

١٩- وأن لا تعمل بالهوى.

٢٠- ولا تقذف المحصنة.

٢١- ولا تراءِ؛ فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل.

٢٢- وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل، تريد بذلك عيبه.

٢٣- وأن لا تسخر من أحد من خلق الله.

٢٤- وأن تصبر على البلاء والمصيبة.

٢٥- وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك.

٢٦- وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله.

٢٧- وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك، فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله.

٢٨- وأن تعلم أن ما صابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٢٩- وأن لا تطلب سخط الخالق برضا المخلوق.

وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة؛ لأن الدنيا فانية والآخرة باقية.

وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه.

٣٠- وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين.

٣١- وأن لا تكذب وأن لا تخالط الكذابين.

٣٢- وأن لا تغضب إذا سمعت حقاً.

٣٣- وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة.

٣٤- وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحداً من خلق الله عز وجل إلاّ بالحق.

٣٥- وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد، وأن لا تكون جباراً عنيداً.

٣٦- وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار.

٣٧- وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه.

٣٨- وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات.

٣٩- وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين.

(أ) ولا تمل من فعل الخير.

(ب) وأن لا تثقل على أحد.

(ج) وأن لا تمن على أحد إذا أنعمت عليه.

٤٠- وأن تكون الدنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك جنّة.

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والوصيين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».[1]

وإليك شرح الأحاديث المذكورة في فصول:

---

١ الخصال: ٥٤٤، الحديث ١٩.

الفصل الاول

الاعتقادات

- الإيمان هو الفطرة
- التوحيد
- العدل
- المعاد
- في رحاب القران
- النبوة
- سيرة النبي ﷺ
- الإمامة
- المهدي المنتظر عليه السلام
- المرجعية الدينية

الايمان والإلحاد

هناك قضيتان شغلتا الفكر الانساني، مدى التاريخ، وهما قضيتا (المادة) و (الروح) وبما ان الانسان متكّون من (الروح) تسيره وتشق امامه الطريق في الحياة، و(الجسم) ينفذ به المآرب والامال .. اذا فكل منهما ضروري في الحياة فلو اختل ما به حياة الجسم من الغذاء والرعاية الصحية لاعترته العاهات والامراض، وكذا اذا اختل ما به حياة الروح من الايمان والرعاية الاخلاقية لسيطر عليه القلق النفسي ونشأت عنده العقد النفسية.

وبما ان (الايمان بالله) يعتبر المبدأ الاول للكمال الروحي، نستفتح به حديثنا على امل ان نتبعه بسلسلة من الاحاديث الدينية متتابعة ان شاء الله تعالى .

معرفة النفس:

كل انسان على وجه الارض لابد وان يفكر في حياته ومصالحه، اذاً فهو موجود مفكر ، وهذا مايقوله (ديكارت) : «انا افكر فانا موجود».[1]

وفي الحديث :« من عرف نفسه فقد عرف ربه»[2]، اذاً من اين وجدنا، ومن الذي اوجدنا،بعد ان لم نكن شيئا مذكوراً؟

واضح انا لم نخلق انفسنا، اذ لايعقل ان يكون العدم موجدا للشيء، ولم نكن موجودين قبل ان نوجد ، وان اباءنا لم يوجدونا، لانهم يجهلون مايتركب منه جسم الانسان من الاعضاء ووظائفها، ويجهلون النظام الدقيق في كيفية خلقها، وكل موجود

---

(١) ان قول ديكارت : انا افكر، هو اقرار بالوجود بكلمة (انا) ، فلا حاجة الى قوله: فانا موجود؛ فان من يلاحظ انيته فهو ملاحظ لوجوده .

(٢) شرح مئة كلمة ؛ للبحراني : ٥٧ .

وصانع لابد ان يعرف ما صنع.

نعم، هم واسطة وسبب في وجودنا كسائر الاسباب والادوات في وجود الاشياء، ففي الحديث: «أبى الله أن يجري الاشياء إلاّ بأسباب».(١)

ثم من الذي اوجد الانسان الاول، الذي بسببه انتشر النوع الانساني؟ وهل وجد بالصدفة، ان الصدفة لاتصنع ساعة، لماذا؟ لان في الساعة نظام دقيق، والصدفة لاتتصف بالنظام.

وعليه، هذا الكون العظيم ـ الذي يعتبر الانسان موجودا من موجداته ـ في غاية الصنع ودقة النظام لايمكن أن يوجد بالصدفة.

والكواكب التي منها كوكب الارض وما فيه من جماد ونبات وحيوان.

ومنها: القمر والكواكب من نظام دقيق حاكم في سيرها، بحيث لو اختل هذا النظام لحظة لجعل الحياة في خطر.

فهل يعقل ان تكون هذه الموجودات وبهذا النظام الدقيق وجدت بالصدفة؟

صحيح انا لم نكتشف للكون من مبدأ سوى المادة والنظام المحتف به، ولكن من أين تكونت المادة؟ ومن أين نشأ النظام؟ أليس من قدرة أو جدتها؟ اليس تلك قدرة تفوق قدرة المادة نفسها، وقدرة النظام الحاكم فيها؟ تلك القدرة العليا هي ماندعوه (الله).

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ○ أَمْ خَلَقُوا السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ﴾(٢).

حرية الفكر:

يعتبر الاسلام الايمان نتيجة حتمية للفكر الحر، وعلى اساس الفكر المتحرر من الشهوات وتقاليد العادات كانت الدعوة الاسلامية، ولقد حارب الاسلام التقليد الأعمى

---

(١) الفصول المهمّة في اصول الائمّة ١:٤٨٦،ح ٦٨٥.

(٢) الطور: ٣٥ ـ ٣٦.

من دون تحكيم للفكر القويم، وأوجب ان يكون الاعتقاد بـ(اصول الدين) عن الدليل والبرهان، قال الله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾[١].

وقال تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[٢].

وفي الحديث: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»[٣].

وسأل رجل امير المؤمنين عليه السلام قائلا : بماذا عرفت ربك ؟ قال علي عليه السلام :« بالتمييز الذي خوّلني والعقل الذي دلّني »[٤].

اننا بلا شك نؤمن بوجود اشياء نشاهد آثارها، ونؤمن بوجود العقل؛ لانا نرى هناك انسانا عاقلا وآخر غير عاقل بما نشاهد من اثار التعقل، ونؤمن بوجود (الذرة) التي لاتشاهد بالبصر، ونؤمن بوجود القوة الكهربائية في الاسلاك في حين اننا لانشاهد سوى الأسلاك؛ لاننا نشاهد النور المضيء اذا كانت هناك قوة كهربائية... وهكذا فإنّ منطق العقل وحده هو الدليل الى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فكما ان علماء الطبيعة يتفرغون الى معرفة ظواهر ما يشاهدون ودراسة خصائصها وآثارها بمنطق العقل، وكذلك ينتهي بنا منطق العقل الى الخالق العليم، كما قال تعالى :﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٥]، فإنّ منطق العقل يتساءل عن الموجد لهذا النظام الكوني السائد ؟ وحيث ان الطبيعة نفسها نظام كوني فمن أين وجدت ؟ لاطريق سوى الاذعان بان الموجد لها يتصف بالحكمة والقدرة، وهو ما ندعوه (الله) تعالى،وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله :« لو رأيت تمثال الانسان مصور على الحائط، فقال لك قائل :ان هذا ظهر من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع ، أكنت تقبل ذلك ؟ ! بل كنت تستهزىء به ، فكيف

---

(١) سبأ: ٤٦.
(٢) البقرة: ١٧٠.
(٣) عوالي اللآلي ٢: ٥٧.
(٤) تحف العقول : ٤٦٨.
(٥) فصلت: ٥٣.

تنكر هذا في تمثال مصور جامد، ولاتنكر في الانسان الحي الناطق؟».[١]

معرفة الله:

ان قانون العلية قانون حاكم في الكون، وليس نظرية النشوء والارتقاء الّا اذعانا بهذا القانون، وان كل موجود لابد له من موجد وسبب، وقد تعّمق الفلاسفة ورجال اللاهوت في معرفة حقيقة الالوهية أي الموجد الاول، ومن هنا نشأت اضطرابات فكرية حتى قيل:

فـيك يـا اعـجوبة الـ ـكون غدا الفكر كـليلا
كـلّما قـدّم فكـري فـيك شـبراً فرّ مـيلا

ولكن هل يجب ان يكون علمنا بالاشياء علما تاما ومعرفة كاملة؟

والجواب: ان الانسان تارة يحصل له العلم بالشيء علما كاملا كعلمه بطلوع الشمس، وقد لايحصل سوى العلم الاجمالي البسيط كعلمه بوجود كوكب (بلوتو) من دون معرفة كاملة بما في هذا الكوكب من مواد وآثار، ومعرفتنا بالله تعالى انما هي معرفة بسيطة نابعة من معرفة آثاره، ودلنا وجود الآثار على ان لها موجدا، ودلتنا دقة هذه الاثار في الصنع على اتصاف موجدها بالحكمة والعلم والقدرة العليا، وكذلك نؤمن بـاللّه الذي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ.

وهذا ما يؤكده الامام الصادق عليه السلام بقوله: «ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولايعرف بما يوجب الاحاطة بصفته»[٢].

الايمان هو الفطرة:

ان الفطرة الانسانية والضمير الانساني تدعوان الى الايمان، واذا سترتها عوامل الجهل والشذوذ والانحراف سمي (كفرا)، ومهما يتمادى الانسان في الشك فانه لابد ان يتصادم

---

(١) راجع: كتاب توحيد المفضل، وهو من املاء الامام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمرو.

(٢) توحيد المفضل: ١١٨ (باب معرفة العقل للخالق معرفة اقرار لامعرفة احاطة).

مع الحقيقة يوما ما، وان يتيقظ الوجدان والضمير في حالات صعبة تسلم به كحالات المرض واليأس الطارئة على كل انسان، فينقطع الامل من الناس ويتوجة الى القوة الخفية القادرة على انقاذه، وتلك القوة القديرة على كل شيء ما ندعوه (الله) .

قال تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً ﴾[١].

وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[٢].

والمحادثة التالية بين الامام الصادق عليه السلام والمنكر يكشف لنا هذه الفطرة في الانسان، قال عليه السلام: « هل ركبت سفينة قط ؟ قال: بلى. فقال الامام عليه السلام : هل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك ؟ فقال: بلى، فقال الامام عليه السلام : فهل تعلق قلبك بشيء قادر ان يخّلصك ؟ قال: بلى . ثم قال الامام الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لامنجي وعلى الاغاثة حيث لامغيث » [٣].

في رحاب القران:

الشيء الوحيد الذي يؤكد عليه القران الكريم في قضية الايمان هو تنبيه الانسان على فطرته ووجدانه وضميره ، كي ينظر الى العالم والى السماء بما فيهما من ايات دالة على الخالق ، من النجوم والكواكب التي لاتعد ولا تحصى ، والتي يقول عنها انيشتاين : « انها تزيد في المستقبل عدداً بمختلف اوصافها واحجامها» .

والى الارض بما فيها من معادن ونبات وحيوان مما يستخدمه الانسان الممتاز بالعقل والتقدم والرقي ، الى الانسان المكون من آلاف الاجزاء والخلايا والكريات الحمر والبيض ، التي تكونت من غير معرفته ،والمكرم بالعلم والعقل على سائر المخلوقات، والمخلوق في احسن تقويم واتم صورة وافضل تقدير ، فإنّ النظام السائد في الكون

---

(١) يونس: ١٢ .
(٢) يونس: ٢٢ .
(٣) التوحيد : ٢٣١.

وروائع الخلق العظيم والايات الكونية الظاهرة، وما فيها من تأثير على حياة الانسان والكرة الارضية[١]، يجعلنا نؤمن بالله تعالى، وانظر ما تؤكده الايات التالية :

١ ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّماواتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢]. ٢ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ○ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ○ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ○ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُم مِن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ○ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ○ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ ٱلسَّماءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٣].

٣ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِياءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

٤ ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ○ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ○ وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥].

٥ ـ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٦].

---

(١) أقرأ كتاب مع الله في السماء تأليف : الدكتور احمد زكي ، وكتاب الطب محراب الايمان ، للدكتور خالص كنجو ، طبع بيروت ١٣٩١ هـ، وغيرهما.

(٢) البقرة : ١٦٤ .

(٣) الروم : ٢١ ـ ٢٥ .

(٤) يونس: ٥ .

(٥) القصص : ٧١ ـ ٧٣ .

(٦) فصلت : ٥٣ .

التوحيد

يعتبر التوحيد روح الاديان كلها، أكد عليه جميع الانبياء والمرسلين، ويقول النبي هود عليه السلام: ﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [1]. وهكذا غيره من الانبياء عليهم السلام كالنبي ابراهيم عليه السلام وحتى عصر نبينا محمد صلى الله عليه وآله حيث استفتح دعوته الى التوحيد بقوله: « قولوا لاله الاّ الله تفلحوا » كما كانت تقتضيه طبيعة المجتمع المشرك ، الذي انبثق فيه الاسلام لتنزيه الدين عن الشرك والتعدد والتجسيم .

ونعني بالتوحيد : ان الله تعالى واحد في ذاته وصفاته، فليس في ذاته تعدد من اشخاص، ولاتركب من اشياء، وهذا يعبر عنه بـ(توحيد الذات).

وأن صفاته تعالى من العلم والقدرة والحكمة ليست عارضة وزائدة على ذاته ، بل العلم نفس ذاته، ويعبر عنه بـ(توحيد الصفات) وهكذا ما يعنيه الامام علي عليه السلام بقوله : « التوحيد أن لاتتوهمه »[2].

ويقول الامام الصادق عليه السلام : « اما التوحيد فأن لاتجوّز على ربك ما جاز عليك »[3] فإنّ المسؤولية في الحياة تقع على كل فرد اذا كانت تناط بالجميع وتنحصر المسؤولية في فرد خاص إذا كانت بمستوى خاص، فلا يصح ان يترأس دولة واحدة رئيسان، ولا على المملكه ملكان، ولا على الحكومة اميران ، بل لايجوز في المدرسة الواحدة ان يتعدّد المدير ، هذا هو الشأن في مملكة الانسان ، لماذا ؟ لان المسؤولية اذا تعددت وتعدد الملك والرئيس والامير ، بل وحتى المدير ، جاز للفرد ان يفكر في عصيان احدهما متظاهراً

---

(١) هود : ٥٠ .

(٢) نهج البلاغة ٤ : ١٠٨ (الحكمة ٤٧٠).

(٣) التوحيد للصدوق : ٩٦.

بالطاعة للاخر، وبالنتيجة يختل نظام المسؤولية فاذا كان هكذا شأن نظام الانسان فكيف بشأن نظام الكون الدقيق الذي لايمكن ان يصدر الّا من قدرة عليا ؟.

ان الايمان يستلزم التوحيد، فانه لايمكن ان تتعدد القدرة العليا ،اذ لو تعددت فلا تكون قدرة عليا، لان التعدد يعني عجز احدهما بالنسبة الى الاخر، فلا تبقى قدرة عليا ؟. وهكذا ما يؤكده الامام علي عليه السلام بقوله : « اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق [١] به، وكمال التصديق به توحيده » [٢]، فالايمان بلاتوحيد يعني عدم الايمان بالذي على كل شيء قدير.

في رحاب القران :

ولحظة واحدة مع الايات القرانية توقفنا على التوحيد الخالص الذي يدعو اليه الاسلام قال تعالى :

١ ـ ﴿يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ○ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٣].

٢ ـ ﴿إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ○ رَبُّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَارِقِ﴾ [٤].

٣ ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٥].

٤ ـ ﴿إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [٦].

٥ ـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٧].

---

(١) أي الايمان.
(٢) نهج البلاغة ١ : ١٤ ، الخطبة الاولى.
(٣) البقرة: ٢٢.
(٤) الصافات: ٥.
(٥) المؤمنون: ٩١.
(٦) طه : ٩٨.
(٧) الانبياء: ٢٢.

٦ ـ ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

ونختم الحديث عن التوحيد بشذرة مقتطفة من كلام الامام علي عليه السلام في وصيّته للامام الحسن عليه السلام ، قال : «لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت افعاله وصفاته ، ولكنّه اله واحد كما وصف نفسه لايضاد في ملكه احد».[٢]

وقال :«أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده»[٣].

---

(١) النمل : ٦٠.

(٢) نهج البلاغة ٤ : ١٠٨ ، الكتاب ٣١.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٤، الخطبة الاولى .

العدل

والايمان بالله يستلزم الاعتقاد بأنه عادل، حيث ان الظلم لايصدر الّا من العاجز، وذلك اما بسبب الجهل أو الاحتياج فيتوسل بالظلم لشفاء غضبه أو سد حاجته ، والله سبحانه العالم بكل شيء والقادر على كل شيء لايتصورّ فيه الظلم والجور وهو الغني الحميد . وهذا مايؤكده الامام السجاد عليه السلام بقوله :« انما يحتاج الى الظلم الضعيف»[1]، ولذلك نعتقد بان الله تعالى لايظلم احدا ولايجبر أحدا على عمل كان ، كما قال تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ [2].

((٢) ويقول الامام علي عليه السلام :« العدل ان لاتتهمه» [3].

وقال الامام الصادق عليه السلام :« واما العدل فان لاتنسب الى خالقك ما لامك عليه »[4].

وقال عليه السلام ايضا :« ان الله اكرم من ان يكلّف الناس مالا يطيقون»[5] .

وقال ايضا :« ما كلّف الله العباد كلفة فعل ولانهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ،ثم امرهم ونهاهم ، فلا يكون العبد آخذا ولا تاركا الّا باستطاعة متقدمة قبل الامر والنهي...».[6]

ويقول الامام الصادق عليه السلام :« ان الله عز وجل خلق الخلق، فعلم ماهم اليه صائرون ، فأمرهم ونهاهم ، فما امرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به ، وما نهاهم عن

---

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي): ١٠٧ . (٢) الانسان : ٣.

(٣) نهج البلاغة ٤: ١٠٨ (الحكمة : ٤٧) . (٤) معاني الاخبار : ١١ .

(٥) المحاسن ، للبرقي ١: ٢٩٦ ، الحديث ٤٦٤ .

(٦) التوحيد ، للصدوق : ٣٥٢ ، الحديث ١٩ .

شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه»[١].

وما جبر الله احدا من خلقه على معصية، بل اختبرهم بالبلوى كما قال تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٢]، فما نجد في الناس من تفاوت من اختلاف حالات الغنى والفقر والصحة والمرض والمقام ونحوها ليست الابسعي الانسان وبتقدير الله كما قال تعالى :﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ○ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[٣].

معنى السعي ان الانسان بحريته يختار سببا من الاسباب وبالنتيجة يترتب الاثر المفروض المقدر، وقد جعل الله تعالى جميع البشر سواء في هذه الحرية . ولم يدع ارشاده في استخدام هذه الحرية في سبيل الحياة السعيدة بالمشورة والتدبير ﴿ وشاورهم في الامر﴾[٤] و « لاعقل كالتدبير»[٥].

فاذا اهمل الانسان بنفسه ارشادات العقل واوامر الشرع ولم يكن له تدبير ولا مشورة ممن ينبغي مشورته . فطبيعي ان يترتب على ذلك الشقاء والتخلف والبؤس واختلال الاقتصاد والمعاش والابتلاء بالفقر والحرمان وليس الظالم الّا من اهمل التدبير والمشورة التي امر بها الله تعالى ونبيه الكريم ﷺ .

في رحاب القران:

ويرشدنا القران الكريم في هذا المجال الى عظيم فضله وعدله فقال سبحانه وتعالى :

١ ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[٦].

٢ ـ ﴿ ذٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ○ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا

---

(١) التوحيد ، للصدوق : ٣٤٩، الحديث ١٨ .

(٢) هود: ٧.

(٣) النجم : ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) آل عمران : ١٥٩ .

(٥) امالي الشيخ الطوسي :٥٤١ .

(٦) النساء: ٤٠ .

عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

٣ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢].

والخلاصة: الايمان نتيجة طبيعية للعلم كما قال الامام علي عليه السلام: « بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحّد »[٣]، وهذه الحقيقة يؤكدها الاسلام في مختلف الايات والاحاديث التي ذكرنا بعضها، وامّا الالحاد فهو نتيجة طبيعية للجهل، والملحدون احدى طائفتين : من يجد الدين حجر عثرة لمقاصده الشخصية، ومن يأخذ مفهوما خاطئا عن الدين ويعتبر العادات الدخيلة دينا وهو الجهل بحقيقة الدين .

وختاما، اليك ما قاله الدكتور (كرسي موريسون) ، في كتابه الجدير بالقراءة باسم (العلم يدعو الى الايمان) قال : « ان البشر لايزالون في فجر العلم، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعا جلى لنا شيئا فشيئا صنعه خالق مبدع »[٤].

---

(١) الانعام: ١٣١ و ١٣٢ .
(٢) يونس: ٤٤ .
(٣) الفصول المهمة في اصول الائمة : ٤٦٨ .
(٤) العلم يدعو الى الايمان (المقدمة) .

البعث والمعاد

كل منا يعلم ان للحياة في الدنيا خاتمة، آتية لامحالة، وليس للحياة في الدنيا خلود ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾[1] واما بعد هذه الحياة التي نعبر عنها بـ(الموت) فهل هناك حياة اخرى ؟ أم ان الانسان ينعدم بالموت ولا حياة اخرى ؟٦كدت الاديان السماوية على الحياة الثانية وان فيها يكون العدل والحساب ،يثاب المطيع ويعاقب العاصي. ويعتبر الحياة الدنيا دور العمل والاخرة دور الجزاء قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ○ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [2].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[3].

ويقول الامام علي عليه السلام :«انما الدنيا دار مجاز والاخرة دار القرار، فخذوا من ممرّكم لمقركم، ولاتهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج ابدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم »[4].

اذا فالموت حياة تتعقب الحياة الدنيا، ذلك ان الانسان يتكون من روح وجسد والروح هي الشخصية الاخرى التي لاتتغير باختلاف الاحوال والتي تعبر عنها بقولك: (انا)، والموت يفرق بين الروح والجسد ولا يبقى في القبر سوى الجسد الذي سوف يتحول الى حالات اخرى، وتبقى نسبة التراب الى الانسان ولو بعد آلاف السنين، والشيء الذي يمنع من الاعتقاد بالمعاد هو : ان جسد الانسان الميت بعد هذه التطورات كيف يتكون من

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) الملك: ١ ـ ٢.

(٣) المؤمنون: ١١٥.

(٤) نهج البلاغة ٢:١٨٣.

جديد ؟ ويصير حيا بعد انعدامها في آلاف السنين .

وقد يبدو سؤالا بلا جواب، ولكن لحظة قصيرة مع العلم توقفنا على ان الانسان باعتباره موجودا ماديا لايتصور فيه كيمياويا الفناء والعدم، وانما تطرء الاحوال المختلفة على العنصر والمادة، ونكتفي بمثال بسيط، فالماء مكون من عنصرين هما، غاز الاوكسجين وغاز الهيدروجين، ويمكن تجزئتهما بالتحليل الكيمياوي، فاذا تركب عنصر الاوكسجين مع الهيدروجين يتكون الماء، واذا تركب مع شيء آخر يتكون شيء اخر، اذاً فغاز الاوكسجين عنصر تطرأ عليه الحالات المختلفة، ويمكن تحليلها كيماوياً بتجزءة العناصر الطبيعية من غيرها، والانسان بموته انما تنتقل عناصره المادية الى حالة اخرى، والله العالم لكل شيء عالم بحالتي الانسان قبل الموت وبعده، وعالم بمصير عناصره ، وبما انه تعالى له القدرة العليا فهو قادر على تجزئة هذه العناصروتحليلها حتى يتكون الانسان الذي تحولت هذه العناصر منه فيكونها انساناً من جديد بردّ الروح اليه، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وتصح نسبة الانسان المكون من نفس العناصر والروح ولو بعد الاف السنين الى التراب، كما تصح نسبة القبر الى من دفن فيه قبل الاف السنين، وهكذا يعتبر الاعتقاد بالبعث والمعاد امتداداً للاعتقاد بالقدرة العليا وان الله على شيء قدير، فانك لم تكن موجوداً فوجدت: والقدرة التي اوجدتك من العدم قادرة على ايجادك من العدم بعد الموت أيضا.

قال تعالى :﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[2]

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) البقرة : ٢٦٠.

(٢) يس: ٧٨.

(٣) يس: ٧٩.

وقال تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

ان الجهل لايكون مبرراً للانكار، وقد ظلت البشرية طيلة قرون عديدة تجهل (الميكروب) و (الذرة) وهي لم تفقد واقعيتها بالرغم من جهل الناس اياها. صحيح ان الحياة بعد الموت مجهولة للانسان ولكن لايجوزان تنكر ذلك مستنداً الى الجهل مادام القادر الحكيم الذي خلق الانسان من العدم، والنبي العظيم والقرآن الكريم يخبرنا بذلك، وهكذا شأن الدنيا، المدرسة الانسانية التي بشّر وأنذر فيها الانبياء، لابد لها من يوم للعدلة، تظهر فيه درجات الايمان والعمل الصالح قوةً وضعفاً.

في رحاب القران:

قال تعالى: ١ ـ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ○ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ○ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ○ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾(٢).

٢ ـ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ○ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٧)
﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٩)
﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾(٣).

٣ ـ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ○ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ○ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾(٤).

---

(١) الروم: ٢٧.
(٢) الطارق: ٥ ـ ٨.
(٣) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.
(٤) الحج: ٥ ـ ٧.

النبوة

العدالة تستلزم هداية البشر الى طريق الخير والسعادة فإنّ الاهمال يعني الاضلال، وهذا مايؤكده القران الكريم بقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[1].

وهداية الانسان بواسطة رسولين؛ الاول: رسول الباطل وهو الفكر والعقل. والثاني: رسول الظاهر وهو النبي، ويكون دور الانبياء هداية فكر الانسان الى الحياة الفضلى، والنبوة رسالة الهية وسفارة دينية لهداية الانسان الى الصراط المستقيم والنجاة في الدنيا والآخرة. ومهمّة الرسل والانبياء ايقاض القلوب وتوجيه الارادة البشرية نحو الكرامة والسعادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ○ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3].

واذاتأمل الانسان ادوار حياته وتدرّجه في مراحل الولادة فالرضاعة فالطفولة فالمراهقة حتى استوى عضوا كاملا نافعا في المجتمع الانساني، وكلما ازداد كمالا ازداد يقينا بأن الانسان في حياته يحتاج الى موجّه ومرشد يوجّهه الى السير الافضل في الحياة هذا هو شأن المجتمع الانساني الذي يمر بمراحل التطور الفكري في العقيدة والشريعة، ويفتقر في سيرة التكاملي الى الموجّه والمرشد وذلك هو دور الانبياء عليهم السلام، وهذا مايفيده

---

(١) الانسان: ٣.
(٢) الانعام: ٤٨.
(٣) الاعراف: ٨٥ ـ ٨٦.

كلام الامام الصادق عليه السلام: «انا آلما آثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ماخلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا، ثبت ان له سفراء يعبّرون عنه الى خلقه، وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه، وهم الانبياء عليهم السلام»[1]، ولهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية ان يرسل الانبياء بشرا مثل سائر الناس يعظونهم بنفس اللغة التي يتفاهم بها الناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

ولم يرسلهم ملائكة تأكيدا على هذه الظاهرة كما يؤكد على ذلك القران الكريم.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[3].

وقوله: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ○ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾[5].

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ○ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾[6].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾[7].

---

(١) توحيد المفضل: ١١٨.
(٢) ابراهيم: ٤.
(٣) الكهف: ١١٠.
(٤) الانعام: ٥٠.
(٥) الفرقان: ٨.
(٦) الاسراء: ٩٤ ـ ٩٥.
(٧) الفرقان: ٢٠.

أُولُوا العزم:

وحيث ان البشرية تتدرج في النضج الفكري يكون من الطبيعي ان تتدرج الرسالة الالهية حسب هذا النضج، وان تختلف باختلاف الشعوب والامم، وان تختلف حدود الرسالة من حيث الزمان والمكان ، وهكذا مايؤكده القران الكريم بقوله :﴿ ولكل امة رسول﴾(١)

وتفيد الروايات ان عدد الانبياء هو (١٢٤/٠٠٠) نبياً ، وكانت النبوات تختص بطائفة خاصة أو قوم خاص أو قبيلة خاصة ، وقد برز منها رسالات عامّة وانبياء عرفوا بـ (اولو العزم) بسبب أنّ رسالتهم عامة وعالمية .

قال تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٢).

وهم كالآتي :

١ ـ النبي نوح عليه السلام: كان منطلق دعوته الى التوحيد العراق ، وعمّر طويلاً كما نص عليه القرآن الكريم: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾(٣)، واستمر في دعوته ليلاً ونهاراً، ولم يستجب لدعوته الّا ثمانون شخصاً منهم ابنته، أما زوجته وابنه فبقيا على الكفر، وأمره الله بصنع السفينة وحمل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات وقاية من الطوفان، وقد صنعها ـ كما تفيد الروايات ـ في مئة سنة في مسجد الكوفة بالعراق، ولمّا طغى الماء فوق كل شيء مدّة ستة أشهر، استوت السفينة على الجودي بالموصل، ومدفنه عليه السلام في النجف الاشرف، وهو ضجيع الامام علي عليه السلام.

ا ـ النبي نوح عليه السلام، وهو أطول الانبياء عمراً، ويعرف بشيخ المرسلين؛ لأنه عاش مبلغاً لرسالة السماء ألف سنة إلّا خمسين عاماً، كما في القرآن الكريم، وكان موطنه الكوفة.

٢ ـ النبي ابراهيم عليه السلام: ويدعى بأبي الانبياء ، مولده في العراق، عاش في سلطنة نمرود،

---

(١) يونس :٤٧.

(٢) الشورى: ١٣ .

(٣) العنكبوت : ١٤.

ودعا الى التوحيد فيها ، ثم استمر في دعوته في الشام، ومنها امر بالهجرة الى مكة المكرمة واداء مناسك الحج حيث اسكن فيها زوجته (هاجر) وابنه (اسماعيل)، وتعرف رسالته بـ(الملة الحنيفة) .

٣ ـ النبي موسى عليه السلام : ولد في مصر في سلطنة فرعون، وحارب عبادته الفراعنة وخرج منها خائفا يترقّب مع بني اسرائيل الى حدود فلسطين وتعرف رسالته بـ(الدين اليهودي).

٤ ـ النبي عيسى عليه السلام: وكان موطن دعوته فلسطين، دعا فيها الى محاربة المادية، فحاربه اليهود وأرادوا صلبه فرفعه الله بقدرته الى السماء قال تعالى :﴿ يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي﴾[١]. ومن بعده تابع تلاميذه (الحورايون) ابلاغ رسالته ، وتعرف رسالته بـ(الدين المسيحي).

٥ ـ النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو خاتم النبيين: وقد بدأ دعوته في مولده مكة المكرمة، فدعا فيها الناس الى التوحيد، وهاجر منها الى المدينة، ومنها انتشرت كلمة الاسلام حتى عمت شبه الجزيرة العربية ومناطق شاسعة من اسيا وافريقيا. وتوفي عليه السلام في المدينة في ٢٨ / صفر / سنة ١١ للهجرة، وفيها دفن. وقام خلفاؤه بالحفاظ على شريعة الاسلام من بعده. ولقد لاقت هذه الرسالات العالمية صعوبات كبيرة في سبيل ابلاغ الناس بها؛ فقد قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أُولُوا العزم من الرسل﴾[٢].

وقال النبي محمد عليه السلام :«ما أُوذي نبي مثل ما أُوذيت»[٣].

وهكذا ارسل سبحانه الانبياء، وكان أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد عليه السلام الذي ختم به العقيدة والشريعة، واسس الحياة الفضلى الى الأبد، وهذا مايؤكده عليه السلام بقوله:«إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق »[٤].

---

(١) ال عمران: ٥٥ .
(٢) الاحقاف :٣٥.
(٣)مسند الرضا : ١٣١ .
(٤) مسند الرضا عليه السلام: ١٣١.

معرفة النبي ﷺ:

ان هدف الرسالة هو الاصلاح بالوحي الالٰهي، الذي يبدو عياناً لشخص النبي ﷺ كالنور الباهر، وطبيعي أن تكون الرسالة مصحوبة بالدليل المقنع و (البينة) حسب التعبير القرآني :(ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الّا بالله عليه توكلت واليه انيب)[1].

وطبيعي ان يكون الدليل مما يفوق القدرة البشرية بالنسبة الى الرسالة نفسها ، الهادفة الى صلاح الدنيا وفلاح الاخرة وبالنسبة الى الرسول نفسه ، وتختلف باختلاف الازمان والاماكن، وقد تحولت النار بردا وسلاما على ابراهيم ﷺ ازاء تعذيب نمرود ، وتحولت عصى موسى ﷺ حية تسعى ازاء اعمال السحرة ، وكان عيسى ﷺ يبرىء الاكمه والابرص باذن الله تعالى مما يعجز عنه الطب ، وكان الدليل المعجزة لمحمد ﷺ تشريع الاسلام ونظامه الذي يفوق التشريعات الوضعي .

وكذلك من الطبيعي عصمة الانبياء؛ ليكونوا محل الثقة والقدوة للناس ، ولهذا السبب لم تجرِ سنة الله تعالى على اختيار المرأة للنبوة ولا للامامة؛ لانها قيادة وزعامة تلازم الكفاح والتغلب على العواطف،التى لاتتحمل ذلك عادة اعصاب المرأة، حيث آنهاخلقت ممتازة بالعاطفة والحنان .

النبي محمد ﷺ:

ان انتشار الفساد في المجتمع يستلزم وجوب الاصلاح؛ للسير في مدارج التكامل والرقي، وان ضلال البشرية وشيوع الحياة الجاهلية تعني اقتراب بزوغ شمس الهداية، وفي عصر النبي محمد ﷺ كانت الضلالة والجهالة متفشّية في العالم والجزيرة العربية

---

(١) هود: ٨٨.

خاصة، فكان بزوغ شمس النبوة طبيعياً، وقطع دابر الفساد حتمياً. قال تعالى:

﴿هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ظلال مبين﴾ (١).

وقال:﴿يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ○ وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ (٢).

وقال سبحانه :﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

وقال الامام علي عليه السلام :« فبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بيّنه واحكمه »(٤). وقال:« ارسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الامم، واعتزام من الفتن وانتشار من الامور، وتلظّ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور فجأهم بتصديق الذي بين يديه، والنور المقتدى به، ذلك القران»(٥)

وقال الامام السجاد عليه السلام :« اللهم فصل على محمد امينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك ، إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة، كما نصب لامرك نفسه، وعرّض فيك للمكروه بدنه..»(٦).

سيرة النبي صلى الله عليه وآله:

تنقسم سيرة النبي صلى الله عليه وآله الى ثلاثة ادوار :

١ ـ النشأة من المولد الى البعثة. وهذا الدور يعتبر دوراً طبيعياً.

---

(١) الجمعة : ٢.
(٢) الاحزاب : ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) البقرة : ١٣٦.
(٤) نهج البلاغة ٢ : ٣٠.
(٥) نهج البلاغة ٢ : ٥٤.
(٦) الصحيفة السجادية، الدعاء الثاني.

٢ ـ دور الدعوة من البعثة الى الهجرة. وفي هذا الدور انتشرت الدعوة الاسلامية .

٣ ـ دور التطبيق من الهجرة الى الوفاة. وفي هذا الدور كان كمال الدين الاسلامي .

ولد النبي محمد ﷺ في عام الفيل، سنة ٥٧٠ م .

وكان والده توفي قبل ولادته، فتكفّله جده عبدالمطلب وأرسله للرضاعة في قبيلة بني سعد، كما كانت عليه عادة العرب .

ولما بلغ الرابعة من عمره اعادته مرضعته حليمة السعدية الى آمه امنة بنت وهب .

ولما بلغ ﷺ ست سنوات ماتت امه آمنة .

ولما بلغ الثمان سنوات مات جده عبد المطلب ، فتكفله عمه ابو طالب .

وامتهن التجارة بين مكة وبصرى الشام مع عمه ابي طالب عام ٥٨٢ م ، وعمره اثنتا عشر سنة.

ولما كان ﷺ معروفاً بالامانة والصدق عرضت عليه خديجة الاتجار بما لها على النصف ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره في سنة ٥٩٥ م .

وفي نفس العام عرضت عليه الزواج، فتزوج منها.

ويعتبر هذا الدور على العموم دوراً طبيعياً في حياة النبي ﷺ ، وكانت مسألة الزواج تحوّل في حياته فقد ساهمت السيدة خديجة لصالح الاسلام فيما بعد مادياً حتى قيل :« ماقام الاسلام الّا بسيف علي واموال خديجة » .

والدور الثاني من حياة النبي ﷺ يبدأ من سنة ٦٠٩ م، فانه ﷺ لما بلغ الاربعين من عمره كان يذهب ﷺ الى غار حراء متفكراً فيما عليه الناس من الضلالة والجهالة ، فنزل عليه الوحي في ٢٧ / رجب / سنة ٦٠٩ م فكان المبعث النبوي الشريف

وفي هذا التاريخ امره الله بتبليغ الرسالة، وكانت بداية دعوته في عشيرته الاقربين، وكان اول من آمن به ابن عمه علي بن ابي طالب ﷺ، وعمره آنذاك تسعة سنين .

فتعرض ﷺ لأذى المشركين من قريش، ولكن قيّض له عمه ابو طالب مدافعاً ومحامياً عنه .

وقال له عمه ابو طالب :« اذهب يابن اخي فقل ما احببت؛ فـوالله لا اتـخلى عـن حمايتك ابداً » .

وكان المسلمون يجتمعون سراً في دار زيد بن الارقم المخزومي ، ولما اصبحوا اربعين رجلاً، بلّغ رسالته علناً في سنة ٦١٢ م

وقد لاقى هو ﷺ والمسلمون اذى كثيراً من مشركي مكة في سبيل الدعوة؛ حتى قال ﷺ :« ما اوذي نبي مثلماأُوذيت »

واضطر المسلمون على اثر مضايقة قريش ان يهاجروا من مكة؛ فهاجر ثلاثة وثمانون مسلماً الى الحبشة، وكانوا بها حتى فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة النـبوية؛ حـيث رجعوا الى المدينة المنورة .

والدور الثالث من حياة النبي ﷺ يبتدىء بالعام ٦٢٢ م، الموافق للـعام الاول مـن الهجرة ، فانه لما لم يجد النبي ﷺ في مكة ولا الطائف مكاناً صالحاً لنشر دعوة الاسلام ، وكان اهالى يثرب (= المدينة المنورة) على العكس من اخلاق قريش، ووجدها مكاناً صالحاً لتبني الدعوة ونشرها، هاجر اليها في ١ / ربيع الاول / سنة ٦٢٢ م، وكانت هذه الهجرة بداية تحوّل تاريخي وتقدّم متواصـل للاسـلام والمسـلمين وبـدايـة للـتاريخ الاسلامي.

وفي المدينة حدثت سلسلة من الاحداث التي غيرت مسيرة التاريخ، وفي طليعتها (القرآن) الدستور الخالد الذي تحدى البشرية على ان يأتوا بمثله في تشريعه ونـظامه ، وكان السبب في الهجرة تحالف كفار قريش على قتله ﷺ،لذلك امر النبي ﷺ ابن عمه علي بن ابي طالب ﷺ ان يبيت في فراشه ليلة الهجرة خشية ان يفطن المشركون لغيابه، وان يتعقبوه لو علموا ان فراشه خالٍ منه، ولهذا السبب سميت (ليلة المبيت) وصحب معه ابا بكر في هجرته.

واليك باقتضاب اهم الاحداث في حياته ﷺ بعد الهجرة:

العام الاول : صالح النبي ﷺ بين قبيلتي (الاوس) و (الخزرج) وكانت الحرب دائرة

بينهما سنين طويلة، وعقد الاخاء بين (الانصار) وهم المسلمون من اهالي المدينة و (المهاجرين) وهم المسلمون المهاجرون من اهالي مكة وآخى بين نفسه وبين علي عليه السلام.

العام الثاني: أمر باستقبال الكعبة المعظمة في الصلاة، وفيه كانت غزوة بدر الكبرى، وفيه أيضا تم زواج الامام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام.

العام الثالث: وفيه كانت غزوة احد واستشهاد الحمزة عم النبي صلى الله عليه وآله سيد الشهداء مع سبعين مسلماً، ولاقى علياً عليه السلام سبعين جرحاً في بدنه.

العام الرابع: فيه كانت واقعة بني النضير وهم طائفة من يهود المدينة نقضوا عهدهم مع الرسول بتحريض المشركين فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم.

العام الخامس: في شوال كانت غزوة الخندق، وكان المسلمون ثلاثة الاف والكفار عشرة الاف، وبأرشاد الصحابي سليمان الفارسي حفر المسلمون خندقاً في عشرين يوماً حفاظاً على المدينة وانتهت الغزوة بالبراز بين علي عليه السلام وعمرو بن ود وقتل عمرو وسميت بـ(وقعة الاحزاب).

العام السادس: توجه النبي صلى الله عليه وآله الى مكة المكرمة لغرض العمرة، فظن المشركون انه يريد الحرب، وبعد محادثات ورسالات في موضع يسمى (الحديبة) قرروا ان يؤخر النبي صلى الله عليه وآله عمرته وعقدت الهدنة بين الطرفين ضمن شروط واهمها:

١ ـ حرية السفر بين الجانبين.

٢ ـ حرية اعتناق الاسلام لمن يشاء.

٣ ـ الهدنة لمدة عشر سنوات، ولكنها استمرت سنتين فقط.

وكان رضوخ الكفار لهذه الشروط نصراً للمسلمين ونزلت في ذلك سوة الفتح، وقد بايع المسلمون النبي صلى الله عليه وآله على الموت لذلك سميت (بيعة الرضوان).

العام السابع: وفيه كانت معركة خيبر، ولم يحضرها النبي صلى الله عليه وآله لوجع في رأسه، وارسل سرايا لم تنجح في مهمتها ثم ارسل سرية بقيادة علي عليه السلام ففتح خيبر واحرز النصر للاسلام.

العام الثامن : وهو عام فتح مكة، فحيث لم يفِ المشركون بعهدهم، فتوجه الرسول ﷺ في عشرة الاف مسلم الى مكة ، واستسلم الكفار، واسلم من كان في مكة حتى ابو سفيان وأبناوه، وعفا عنهم الرسول ﷺ قائلاً :« اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

العام التاسع : في هذا العام ابلغ البعض النبي ﷺ باستعداد الروم للحرب، واستعد المسلمون في (تبوك) للحرب ولكن لم يقع حرب بين الطرفين .

العام العاشر: في هذا العام كانت حجة الوداع، وفي الثامن عشر من ذي الحجة عندما رجع النبي ﷺ الى المدينة نصّ رسول الله ﷺ على ولاية وخلافة امير المؤمنين عليه السلام في مكان يسمى بـ(غدير خم).

وفي ٢٤ ذي الحجة عزم النبي على المباهلة بين النبي ﷺ واهل بيته من جهة، ونصارى نجران من جهة اخرى، وفيها نزلت الاية الكريمة :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَّعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[1].

العام الحادي عشر : في ٢٨ صفر، الموافق لسنة ٦٣٣ م كانت وفاة الرسول الاعظم ﷺ في المدينة المنورة، عن ثلاثة وستين عاماً .

---

(١) آل عمران: ٦١.

الامامة

كان النبي ﷺ مشرّعاً منفّذاً في آنٍ واحد ، ولما كمل التشريع بقوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾[1] لم يجز لاحد ان يشرّع شيئاً بعد وفاة النبي ﷺ، وانما كان على المسلمين تطبيق شريعة الاسلام الكاملة في حياتهم الفردية والاجتماعية مهتدين بالقرآن الكريم وسيرة النبي العظيم، ولما كان النبي ﷺ يتولّى بنفسة القيادة العامة في حياته، فكذلك يلزم ان يتولاها بعد وفاته فرد خاص ؛ اذ لايمكن ان تناط بالمسلمين جميعاً لكن وجدت قيادات مختلفة من بعد وفاتة ﷺ، وكان لكل منها طابعها الخاص، وهي كالاتي :

اولاً ـ الخلافة بالشورى : وكان في جمع من الصحابة، اولهم ابو بكر بن ابي قحافة (ت/١٣ هـ)، ثم عثمان ابن عفان (ت/ ٣٥ هـ)، وكانت عاصمتهم في المدينة، ورابعهم الامام علي بن ابي طالب ﷺ (ت/ ٤١ هـ)، وكانت عاصمته الكوفة .

وعد السيوطي في تاريخ الخلفاء خامسهم: الحسن بن علي ﷺ حتى تاريخ الصلح في ١٥/ شعبان /٤١ هـ[2].

وكانت عاصمته الكوفة. وفي الصواعق المحرقة :« هو آخر الخلفاء الراشدين بنصّ جده ﷺ »[3].

ثانيا، الخلافة الاموية : وكانت في آل ابي سفيان وآل مروان وكانت عاصمتهم (الشام) ثم (الاندلس) ، ففي الشام ستة ، اولهم : معاوية بن ابي سفيان (ت/ ٦٠هـ)، وآخرهم

---

(١) المائدة :٣. (٢) تاريخ الخلفاء : ١٠، ط /١٣٨٣ هـ.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٣٣ ،ط /القاهرة، ١٣٧٥هـ.

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ت/١٣٢هـ) وفي الاندلس عبد الرحمن المستظهر بالله (ت/٤١٤ هـ).

ثالثا، الخلافة العباسية : وكانت في آل العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وعددهم سبعة وثلاثون ، اولهم : ابو العباس السفاح (ت/١٣٢هـ) وكانت عاصمته (الهاشمية) قرب الكوفة . واخرهم : عبد الله المستعصم بالله (ت/٦٥٦ هـ) وكانت عاصمته بغداد .

رابعا، الخلافة الفاطمية : وكانت فيمن يوالون فاطمة الزهراء عليها السلام وكانت عاصمتهم القاهرة وعمهم اربعة عشر ، اولهم : عبد الله المهدي (ت/٣٢٢ هـ) واخرهم : العاضد لدين الله (ت/٥٧٦هـ).

الخامسا، الخلافة العثمانية : وعددهم ستة وثلاثون ، وكانت عاصمتهم (استانبول)، اولهم: عثمان الاول (ت/٧٢٥هـ) واخرهم : محمد السادس (ت/١٣٠١هـ) .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م قام مصطفى كمال اتاترك بحركة انقلابية في تركيا الغى بها الخلافة رسميا، فتشكلت في البلاد الاسلامية حكومات ودول مختلفة الميول والاتجاهات بعد ان عاشت الامة في ظلال القران واستظلت براية التوحيد برهة طويلة من التاريخ.

موقف الاسلام :

يظهر موقف الاسلام من القيادة واهميتها ومواصفاتها من سيرة النبي ﷺ في العشر سنين الاخيرة من حياته التي قضاها في المدينة ، فما كان ﷺ يذهب الى غزوة ويجعل للمدينة اميرا، وما كان يرسل سرية الّا ويجعل عليها قائدا ، وآخر سرية أمّر عليها اسامة بن زيد بالرغم من صغر سنه.

ويعتبر هذا امر ضروريا؛ اذ لا يمكن للمجتمع الانساني ان يعيش فوضى ، بل لابد من قيادة حكيمة تطبّق الدستور على نفسها وعلى المجتمع .

هذا، ومن جهة اخرى لابد للحاكم العدالة، ولايمكن للظالم ان يتصدى للقيادة والامامة.

فقد قال تعالى لابراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]. وللامامة مقام سام جدا ووظائف خطيرة. وهذا مايؤكده الامام الرضا عليه السلام بقوله: «ان الامامة اسّ الاسلام النامي وفرعه السامي، بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الغنى والصدقات وامضاء الحدود والاحكام ومنع الثغور والاطراف، والامام يحلل حلال الله ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله»[2] لذلك نجد من كلام الامام الصادق عليه السلام: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية»[3]. وقوله: «لايصلح الناس الّا بامام، ولاتصلح الارض الّا بذلك»[4]. ولابد لكل مسلم معرفة امام زمانه والاهتداء بهديه.

والامام السجاد عليه السلام يشير الى واجبات القائد في الدعاء (٤٧) من الصحيفة السجادية بقوله: «اللهم ... اقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلى الله عليه وآله واحيي به ما اماته الظالمون من معالم دينك، واجل به صدأ الجور عن طريقك، وآمن به الصراط من سبيلك، وازل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً»[5]. ويقول الامام علي عليه السلام: «أأقنع من نفسي بأن يقال لي: امير المؤمنين، ولااشاركهم مكاره الدهر أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش»[6].

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾.

ومن هنا نجد من الشروط المعتبر في قيادة الامة مايلي:

اولاً: معرفة الحكم الاسلامي عن قناعة فكرية بدراسة واجتهاد.

---

(١) البقرة: ١٢٤.
(٢) الكافي ١: ٢٠٠.
(٣) مستدرك سفينة البحار ١: ١٩٤.
(٤) الامامة والتبصرة: ٢٨.
(٥) الصحيفة السجادية، الدعاء (٤٧).
(٦) نهج البلاغة ٣: ٧٢، الكتاب ٤٥.

ثانياً : العمل بكتاب الله وسنة رسوله؛ اذ ان احدهما يفسّر الآخر .

ثالثاً: العدالة في الرعية .

ولكل من العلم والعمل والعدالة دور بارز في مواصفات القيادة ، واما العوامل الاخرى كالنسب والجنس والعمر فليست لها من الناحية النظرية أية قيمة في نظر الاسلام ، لذلك نجد النبي ﷺ يؤمّر اسامة بن زيد ـ وهو ابن عشرين سنة ـ على الجيش الاسلامي بالرغم من صغر سنه ويأمر كبار الصحابة، ابابكر وعمر وغيهما ـ بأن ينضموا الى جيشه، ويأتمرون بأمره ، لما تحقت فيه من الكفاءة بالعلم والعمل والعدالة .

معرفة الامام :

فأذا عرفنا مواصفات الامام فكيف يمكننا معرفته ، أبالنص، أم بالشورى ؟ .

وهنا اختلف المسلمون، فجمهور السنّة على ان النبي ﷺ لم ينص على احد من اصحابه بالقيادة ، وجعل ذلك شورى بينهم ، والشيعة تقول: ان القيادة مسؤولية لايمكن ان يهملها النبي ﷺ؛ اذ لابد لكل ملك من ولي عهد، ولكل رئيس من نائب، ولاشك انه ﷺ اعرف بمن تجتمع فيه الشروط والمؤهلات، فلماذا يتركها لغيره وهو اعرف منهم؟ .

ثم ان الخليفة ابا بكر لما حضرت الوفاة استخلف عمراً، ولم يحصر الخلافة في جماعة على ان تكون الخلافة شورى بينهم كما فعل عمربن الخطاب فحصر الخلافة في ستة على ان يكون شورى بينهم.

فلماذا لم يسكتا عن موضوع الخلافة ولم يهملا امرها ؟ لان الخلافة قيادة تتعلق بها مصالح الاسلام والمسلمين، ولايصح السكوت عنها . وهنا يطرح سوال آخر، وهو لماذا حصراها اذن في شخص خاص أو جماعة خاصة ؟ فقد يقال انما فعلا ذالك لان عامة الناس لايعرفون المؤهلات المعتبرة عندهم، وانما يعرفها من سبقت له نفس المسؤولية؟.

فاذا كان الخليفتان يهتمّان بهذه الدرجة بمصلحة الاسلام والمسلمين ، هل يمكن ان

يهمل النبي ﷺ هذه المسؤولية، وهو الذي كان اذا خرج من المدينة، عاصمته، امّر عليها اميراً، واذا ارسل جيشاً جعل عليها قائداً؟!.

والتاريخ ينص على اهتمام النبي الاعظم ﷺ بمصلحة الاسلام والمسلمين حتى آخر لحظة من حياته المباركة، ففي صحيح البخاري في باب مرض النبي ووفاته مانصه :« قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتد برسول الله ﷺ وجعهُ فقال : أئتوا لي اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً، فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند النبي ﷺ تنازع ـ فقالوا : ماشأنه، أهجر ، استفهموا؟ فذهبوا يرددون عليه ، فقال: دعوني، فالذي انافيه خير مما تدعونني اليه. واوصاهم بثلاث ، قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم ، وسكت عن الثالثة، أو قال الراوي : فنسيتها »[1].

هل اوصى النبي ﷺ؟

ماكان النبي ﷺ ليترك مصلحة الاسلام والمسلمين، وهو القائل :« من اصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »[2]، فهل ترك امر الخلافة وما يترتب عليه من مصير الامة والدين من دون ابداء رأيه الواضح والصريح فيها ؟ ثم هؤلاء المسلمون الذين كانوا يسألون النبي ﷺ عن كل شيء في حياتهم الخاصة والعامة، ألم يسألوه عمّن يخلفه من بعده وهم يتلون الكتاب الكريم :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾[3]؟

ومن وجهة نظر الشيعة يكون الجواب بالاثبات، وهو ان النبي اوصى الى علي بن ابي طالب عليه السلام لخصال اجتمعت في شخصه: من كفاح في الاسلام، واخلاص في عبادة الله، فهو الذي لم يعبد صنماً ، ونصر النبي صبيا وفتى وشيخا، وجهاده المتواصل في كل الغزوات ما عدا غزوة تبوك ، وعلمه الغزير بالكتاب و السنة بحكم سبق صحبته، واستمرار ملازمته للنبي ﷺ ،الذي كان يقول عليه السلام عن ذلك :« كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر

---

(١) صحيح البخاري ٦ : ١١ط : ١٣٧٨ هـ. باب مرض النبي ووفاته .

(٢) الكافي ٢: ١٦٣ .

(٣) الزمر : ٣٠.

امه »[١]، فهذه صفات اختص بها، وكان له منها الحظ الاوفى، وخاصة العلم. وآثاره الفكرية كثيرة في التراث الاسلامي وهي باقية حتى اليوم، وقد جاء في الاستيعاب باسناده :« قلت لعطاء : أكان في اصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من علي؟ قال : لاوالله، ما اعلمه».[٢]

ومن هنا كانت فكرة (الوصية) وان الكفاءة للقيادة انما يعرفها من سبقت له المسؤولية، فيجب ان ينص النبي ﷺ على الخليفة من بعده والامام على الامام من بعده وهكذا.

قال الامام الباقر عليه السلام :« يعرف الامام بالنص عليه من الله تعالى ونصبه علما للناس حتى يكون عليهم حجة ، وقد نصب رسول الله عليا عليه السلام وعرّف الناس باسمه وعينه لهم، وكذلك الائمة ينصب الماضي من يكون بعده ، ويعرف الامام بأن يسال فيجيب، وان سكت عنه ابتدأ »[٣].

والنصوص في الامام علي عليه السلام كثيرة وقد كثر النقاش حولها بين الفريقين، ونحن نكتفي بثلاثة منها :

النص الاول : حديث المنزلة، فقد روى الفريقان أن النبي ﷺ لما خرج الى غزوة تبوك في السنة التاسعة، من الهجرة خلّف عليا عليه السلام ، وقال ﷺ له :«اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الّا انه لانبي بعدي »[٤]، ومصادر كثيرة بزيادة:« لانبي بعدي»[٥].

فقد جعل النبي ﷺ عليا من نفسه منزلة هارون من موسى ، وبعد الفحص عن منزلة

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ١٧٥، الخطبة ١٩٢ .

(٢) الاستيعاب ٣: ١١٠٤، تحقيق على محمد البيجاوي.

(٣) الكافي ١: ٢٨٥ .

(٤) كما في مسلم ٧: ١٢٠، طبعة محمد علي صبيح، وانظر: البخاري ٥ : ٢٤، طبعة دار الشعب.

(٥) انظر: صحيح البخاري ٥ : ٢٤، طبعة دار الشعب. سنن الترمذي ٢ : ٣٠١.

هارون في القران الكريم نجدها كالاتي :

١ ـ الخلافة ، قال تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

٢ ـ الوزارة ، ﴿ وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ○ هَارُونَ أَخِي ○ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ (٢)

٣ ـ الشركة في الامر، ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ○ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ (٣).

وكذلك يكون النبي ﷺ قد نص على المنازل المذكورة لعلي عليه السلام حيث جعله بمنزلة هارون، من موسى، وهو ﷺ ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ○ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤).

النص الثاني : حديث الثقلين، وقد رواه الفريقان :«قام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ثم قال : أما بعد، ايها الناس، فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين ، اولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ، ثم قال : واهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ..»، كما في صحيح مسلم (٥).

ويبقى سؤال : من هم اهل بيت النبي ؟ وللاجابة على ذلك نكتفي بما نقله مسلم في صحيحه باسناده عن سعد بن ابي وقاص قال : « دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال : اللهم هؤلاء اهلي »(٦).

وهذا التأكيد طبيعي؛ فإنّ اهل البيت ادرى بما في البيت ـ كما يقول المثل ـ وكذلك نجد في طول التاريخ الاسلامي قد ضحى اهل البيت النبوي بدمائهم في سبيل احياء الدين، وكانت مواقفهم من اروع المواقف الاسلامية الخالدة في نصرة الدين والحق .

النص الثالث : حديث الغدير ، وغدير خم موضع في طريق مكة المدينة، قرب رابغ ـ اليوم ـ حيث استوقف النبي بعد حجة الوداع عام وفاته، وهو في طريقه الى المدينة

---

(١) الاعراف: ١٤٢.
(٢) طه : ٣٥.
(٣) طه : ٣٦.
(٤) النجم : ٣ ـ ٤.
(٥) مسلم ٧: ١٢٢، طبعة محمد علي صبيح، باب فضائل علي عليه السلام .
(٦) مسلم ٧: ١٢١.

جموع الحجاج ، والحديث كما في رواية احمد بن حنبل باسناده عن زيد بن ارقم :« نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له: وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير ، قال: فخطبنا، وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال ﷺ : ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا : بلى. قال ﷺ : فمن كنت مولاه فإنّ عليا مولاه، اللهم عاد من عاداه، ووال من والاه».[١]

ويقول ابن حجر الهيتمي (ت /٩٧٤ هـ) في شأن الحديث في كتابه الصواعق المحرقة:« انه حديث صحيح، لامرية فيه، وقد اخرجه جماعة كالترمذي والنسائي واحمد ، وطرقه كثيرة جدا، ومن ثم رواه ستة عشر صحابي، وفي رواية لاحمد: أنّه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيا، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع ايام خلافته، وكثير من اسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته، ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن؛ لثبوت رجوعه منها، وادراكه الحج مع النبي ﷺ، وقول بعضهم: ان زيادة: « اللهم وال من والاه» موضوعة مردود؛ فقد ورد ذلك من طرق جمع الذهبي كثيرا منها»[٢]،انتهى.

ولا يختلف رأيه هذا، وهو عالم سني، عن رأي الشيعة في حديث الغدير .

والحديث ظاهر المعنى ، فإنّ معنى المولى هنا: الاولى بالتصرف ، ولهذا السبب هّنأ الحاضرون علياً عليه السلام بهذه الولاية

ولفظ (المولى) يأتي في اللغة ايضا بمعنى (العبد، وابن العم، والجار، والناصر)، ولكن لامناسبة هنا سوى المعنى الاول، فإنّ النسب والجوار والنصرة كلها امور ثابتة . وليست مختصة بعلي بن ابي طالب ، كما لاتفتقر الى هذا التأكيد والتمهيد بقوله ﷺ :« ألست اولى بكل مؤمن من نفسه؟» .

ونكتفي بهذه النصوص الثلاثة، وللمزيد يراجع كتب العقائد والمناقب.

---

(١) المسند ٤ : ٣٧٢ ، طبعة دار صادر، سنة ١٣٨٩ هـ بيروت.

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٠ ، ط / ١٣٧٥، القاهرة.

عدد الائمة عليهم السلام:

روى الشيخ الكليني (ت/٢٢٩ هـ) نصوص الامامة من كل امام على الامام الذي يليه في الكافي [١]، بالاضافة الى النصوص الاجمالية عن النبي صلى الله عليه وآله بحصر الخلافة في اثنى عشر فقط، ففي صحيح البخاري / المطبوع في القاهرة، آخر باب الاحكام / باسناده عن جابر بن سمرة قال:« سمعنا النبي صلى الله عليه وآله يقول:« يكون اثني عشر أميراً .. كلّهم من قريش » وأحاديث غيره[٢].

وفي صحيح مسلم، كتاب الامارة، باسناده عن جابر بن سمرة، قال:« دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: ان هذا الامر لاينقضي حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلّم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ماقال ؟ قال: كلهم من قريش»[٣].

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن النبي صلى الله عليه وآله:« لايزال هذا الامر عزيزاً ينصرون على من ناواهم عليه حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» . أخرجه الشيخان وغيرهما، وله طرق والفاظ ...ثم ذكر الوجوه المروية تفصيلاً[٤].

فمن هؤلاء الاثني عشر الذين تنحصر فيهم الخلافة ؟ من بعد النبي مباشرة حتى الثاني عشر منهم ؟

واضح ان الخلافة السياسية لاتنحصر بعدد خاص؛ اذ أنها ضرورة دائمة في الحياة، فما دام هناك حياة فلابد من قيادة، اذاً المقصود من الخلافة في الحديث القيادة الروحية، وقد تنظم اليها السياسية، وهذه القيادة يمكن حصرها في عدد خاص . دون غيرها .

اذاً فمن هؤلاء ؟ ونظرة فاحصة في التاريخ توقفنا على ان هؤلاء ليسوا اصحاب الخلافة بالشورى؛ فانهم أربعة اشخاص. ولا الخلافة الاموية أو العباسية أو الفاطمية أو

---

(١) الكافي ١ : ٢٩٢.

(٢) البخاري ٩ : ١٠١، ط / دار الشعب، القاهرة.

(٣) صحيح مسلم ٦ : ٣، ط / محمد علي صبيح، القاهرة.

(٤) تاريخ الخلفاء : ١٠، ط / القاهرة، سنة ١٣٨٣ هـ

العثمانية؛ لانها اكثر عدداً من اثني عشر. ولا الخليط من الجميع؛ لما قام بينهم من حروب ومطاحنات وسفك دماء.

قال الشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة :« لايمكن ان يحمل هذا الحديث على الخلفاء الاربعة من الصحابة؛ لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن حمله على الملوك الاموية لزيادتهم عن اثني عشر» [١].

ونقل السيوطي في تاريخ الخلفاء :« ان المراد وجود اثنى عشر خليفة في جميع مدة الاسلام الى يوم القيامة يعملون بالحق، وان لم تتوال ايامهم »[٢]، ثم عد منهم الخلفاء الاربعة والحسن وبعض الامويين والعباسيين، ثم قال:« وبقي اثنان المنتظران، احدهما: المهدي؛ لانه من ال بيت محمد ﷺ[٣]».

وقال القاضي روز بهان :« وأما حمله على الائمة الاثني عشر، فإنّ اريد بالخلافة وراثة العلم والمعرفة وايضاح الحجة والقيام باتمام منصب النبوة، فلامانع من الصحة، ويجوز هذا الحمل، بل يحسن »[٤].

وهذا الكلام ينطبق على مايقوله الشيعة الامامية تماماً في الائمة الاثني عشر عليهم السلام والتاريخ الاسلامي لم يسجل ائمة روحيين افضل من اهل بيت النبوة وموضع الرسالة. ومهبط الوحي والتنزيل، فلابد ان تكون سيرتهم القدوة لمن يريد الصلاح في الدنيا والفلاح في الاخرة، وهم كالاتي:

١ ـ الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ولد ١٣ / رجب / ٢٣ ق. هـ توفي ٢١/ رمضان / ٤٠ هـ. ومرقده في النجف الاشرف.

٢ ـ الامام الحسن المجتبى عليه السلام، ولد ٥ / رمضان / ٣هـ. توفي ٧ / صفر / ٥٠ هـ.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٠،ط / القاهرة،١٣٨٣ هـ وينابيع المودة: ٣٧٣، ط / ١٣١١هـ

(٢) تاريخ الخلفاء : ١٠ ، ط / القاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ.

(٣) تاريخ الخلفاء : ١٠ ، ط، القاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ.

(٤) من نصوص النبي صلى الله عليه وآله على الائمة الاثنى عشر بعده : ١٥٨.

ومرقده في المدينة المنورة .

٣ـ الامام الحسين الشهيد عليه السلام ، ولد ٥ / شعبان / ٤ هـ. استشهد ١٠ / محرم /٦١ هـ ومرقده في كربلاء المقدسة .

٤ـ الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ، ولد ٥ / شعبان / ٣٨ هـ. توفى ٢٥ / محرم / ٩٥ هـ. ومرقده في المدينة المنورة .

٥ـ الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، ولد ٢٠ / رجب / ٥٧ هـ وتوفى ٨ / ذي الحجة / ١١٤ هـ. ومرقدة في المدينة المنورة .

٦ـ الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ولد ١٧ / ربيع الاول / ٨٠ هـ توفى ٢٥ / شوال / ١٤٨ هـ. ومرقده في المدينة المنورة .

٧ـ الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، ولد ٧ / صفر /١٢٨ هـ. توفى ٢٥ / رجب / ١٨٣ هـ. ومرقده في الكاظمية، العراق .

٨ـ الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ولد ١٧ / ذي الحجة / ١٥٣ هـ. توفى ٣٠ / صفر /٢٠٣ هـ ومرقد في مشهد، ايران .

٩ـ الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام ، ولد ١٠ / رجب / ١٩٥ هـ. توفى ٣٠ / ذي القعدة / ٢٢٠ هـ ومرقده في الكاظمية العراق .

١٠ـ الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ولد ١٥ / ذي الحجة / ٢١٤ هـ. توفى ٣ / رجب / ٢٥٤ هـ ومرقده في سامراء ـ العراق.

١١ ـ الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، ولد ٤/ ربيع الثاني / ٢٣١ هـ. توفى ٨/ربيع الاول / ٢٦٠ هـ ومرقده في سامراء العراق.

١٢ ـ الامام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ، ولد ١٥/شعبان / ٢٥٥ هـ وهو والنبي الخضر والياس عليهما السلام احياء بارادة الله وهو على كل شيء قدير ، وهو المهدي الموعود والحجة المنتظر .

المهدي المنتظر عليه السلام:

ليست العقيدة بالمهدي المنتظر عليه السلام عقيدة مختصة بالشيعة، بل عقيدة اسلامية يعتقد بها جمهور علماء المسلمين سنةً وشيعة، وهم يتفقون على انه من بيت النبي صلى الله عليه وآله وانه يملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً، قال ابن حجر في كتابه (الصواعق المحرقة) ص ١٦٠ في احاديث المهدي، مانصه :« ومن ذلك ما أخرجه مسلم وداود والنسائي وابن ماجة والبيهقي واخرون : المهدي من عترتي، من ولد فاطمة، واخرج احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة: لو لم يبق من الدهر إلّا يوم، لبعث الله فيه رجلاً من عترتي، وفي رواية:« رجلاً من اهل بيتي ـ يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي رواية لمن عدا الأخير:« لاتذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من اهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي »[1].

وفي هامش الصفحة (١٦٣) مانصه :« احاديث المهدي كثيرة متواترة ، ألّف فيها كثير من الحفاظ، منهم: ابو نعيم»، وقد جمع السيوطي ماذكره ابو نعيم وزاد عليه في (العرف الوردي في اخبار المهدي)، وللمؤلف ابن حجر فيه كتاب (المختصر في علامات المهدي المنتظر)، وهذا مما اتفقت عليه كلمة المسلمين.

والاختلاف في انه هل ولد بالفعل ؟ أم انه لم يولد بعد ؟ وجمهور السنة على الثاني والشيعة على الاول.

والشبهة الوحيدة التي تعتبر اساس الانكار هي مسألة طول العمر، وأنّ ذلك ممتنع عادةً، فكيف يعيش الانسان هذه المدة الطويلة ؟ وغيرها من الشبهات راجعة اليها.

ولقد بالغ بعض المؤلفين في هذه الشبهة حتى اعتبر (المهدوية) يوتيبية[2] في حين ان اشباه ذلك واقع في التاريخ بنص القرآن الكريم، المصرح بأن كل ذلك واقع تحت قدرة الله تعالى وهو على كل شيء قدير .

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٠٦، ط / القاهرة ، سنة ١٣٧٥ هـ

(٢) أي الغيبة البعيدة عن واقع الحياة.

وقد قال تعالى في نوح النبي :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١].

وقال تعالى في اصحاب الكهف :﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعاً﴾[٢]، وقال تعالى في عزير النبي:﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

تلك هي قدرة الله التي تفوق كل قدرة، وتلك هي القدرة التي جعلت النبي عيسى عليه السلام حياً حتى اليوم، قال تعالى فيه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٤] لهي قادرة ايضاً على تطويل العمر اكثر من المتعارف، وهو على كل شيء قدير، فالمهدي المنتظر عليه السلام حيّ بقدرة الله كحياة عيسى عليه السلام؛ اذ ثبت بالدليل والسنة الصحيحة ـ وعلى الاقل في نظر المعتقد ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا مجال لانكارها؛ اذ هو إما انكار لقدرة الله أو انكار للسنة النبوية.

هذا، وجمهور المسلمين يعتقدون بحياة النبي الخضر عليه السلام وهو اكثر عمراً من الحجة عليه السلام، فقد جاء في هامش الصواعق المحرقة مانصه :« ذكر النووي في تهذيب الاسماء بأن اكثر العلماء مقرّين على ان الخضر حيّ موجود بين اظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية واهل الصلاح، وحكاياتهم في رواياته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة والمواطن الخيّرة، اكثر من ان يحصى، واشهر من ان يذكر»[٥].

---

(١) العنكبوت: ١٤.
(٢) الكهف: ٢٥.
(٣) البقرة: ٢٥٩.
(٤) النساء: ١٥٧.
(٥) هامش الصواعق المحرقة : ٢٢٣، ط / القاهرة، سنة ١٣٧٥.

ولو غيّرنا من كلام النووي قوله (الخضر) بكلمة (الحجة بن الحسن) لكان ماتقوله الشيعة تماماً بلا ادنى تفاوت ، فإنّ الكلام في (الخضر) و (الحجة) واحد ، اذ كلاهما ثبت بالسنّة النبوية الصحيحة ـ وعلى الاقل من وجهة نظر معتقديها ـ والاعتقاد بحياتهما امتداد للاعتقاد بقدرة الله تعالى الذي على كل شيء قدير .

ويبقى سؤال جدير بالملاحظة ، وهو انّ غيبة الامام عليه السلام تنافي وجوب الامامة ، فإنّ الغرض من نصب الامام انما هو بيان احكام الاسلام وتنفيذها، ومن هنا نشأ اتهام الشيعة باليوتيبية ، ولكنه اتهام ظالم؛ وذلك ان طائفة عاشت برهة طويلة من التاريخ واحتفظت بكيانها رغم المضايقات، لايمكنها ان تعيش بدون نظام أو بنظام غير صالح للتطبيق، وقد طبق فعلاً في هذه الفترة من الزمن .

فمن الناحية النظرية، هناك نظرية اللطف القائلة بأن «وجوده لطف، وتصرّفه لطف آخر، وغيبته منا »[1]، كما تفصله كتب العقائد[2] .

ومن الناحية العلمية باشرت المرجعية الدينية (الخاصة والعامة) في القيادة الفكرية لأداء دورها العملي، وهو مستمر حتى ظهور الحجة عليه السلام .

المرجعية الدينية:

بما ان القيادة الفكرية امر ضروري في حياة المسلمين ولها مواصفاتها وشروطها المشروحة في الفقه ، لذلك لم يخل تاريخ الشيعة في أي دور من الادوار من مرجع ديني يؤدي مهمته الرسالية الدينية حسب الملابسات والظروف ، ولهذه المرجعية دوران :

الدور الاول: ويعبّر عن هذا الدور بالغيبة الصغرى (من سنة ٢٦٠ هـ الى ٣١٩ هـ)، وكانت المرجعية لأربعة اشخاص يعبر عنهم بالسفراء والنواب الاربعة ، وكانت لهم نيابة

---

(١) تجريد الاعتقاد؛ لنصير الدين الطوسي: ١٦٦.

(٢) راجع: الغيبة للنعماني، والغيبة للطوسي، وتجريد الاعتقاد لنصير الدين ، والبرهان على وجود صاحب الزمان، للسيد الامين .

خاصة عن الامام عليه السلام وكان مركزهم في بغداد ، وهم :

١ ـ ابو عمرو عثمان بن سعيد الاسدي العمري (المتوفى / ٢٨٠ هـ) .

٢ ـ ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الاسدي (المتوفى / ٣٠٥ هـ) .

٣ ـ ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي (المتوفى / ٣٢٦ هـ) .

٤ ـ ابو الحسن علي بن محمد السمري (المتوفى / ٣٢٩ هـ) .

الدور الثاني: ويعبر عنه بالغيبة الثانية أو (الغيبة الكبرى)، وابتدأت بوفاة السفير الرابع السمري (ت /٣٢٩ هـ) حيث انتقلت القيادة الدينية الى المرجعية في الافتاء والحكم منذ ذلك العهد حتى اليوم؛ استنادا الى الحديث عن الحجة عليه السلام :«واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة احاديثنا، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[١].

وايضا:«من كان الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام ان يقلّدوه »[٢].

واهم الشروط المعتبرة في شخصية المرجع الديني هي: الحياة والعدالة والاجتهاد ، ويزيد الاكثر الأعلمية ، ولايعتبر الانتساب الى النبي اطلاقا، فكل من وجدت فيه الشروط عدّ اهلا للمرجعية .

ويمكن معرفة المرجع بإحدى الطرق الثلاثة : العلم، أو شهادة عدلين، أو الشياع المفيد للعلم.

وكثيراً ما تختلف وجهات النظر، فيقلد كلّ فرد بحريته الكاملة من شاء في حدود شروط المرجعية .

ولكن سرعان ما تنصهر المرجعية في شخصية واحدة تعلو بمرور الزمن عن الشخصيات الاخرى بعوامل خاصة، يكون اهمها : المكانة العلمية والصفات الشخصية والخدمات الاجتماعية .

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٨٤ ، رقم ٤ . (٢) الاحتجاج؛ للطبرسي ٢ : ٢٦٣ .

وهكذا تعتبر الشيعة الامامية طائفة اسلامية لها استقلالها الفكري في حدود التشريع الاسلامي، تؤمن بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا، وبالاسلام دينا، وبالقران كتاباً، وبالكعبة قبلة، وبالائمة الاثنى عشر عليهم السلام ائمة وسادة وقادة، وهم مستودع السنة النبوية، تتسلسل رواياتهم في العقيدة والشريعة الى النبي الاعظم عليه السلام وهم اهل بيت النبوة، و« واهل البيت ادرى بما في البيت »، وهذا مايؤكّده الامام الصادق عليه السلام بقوله:« حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل»[1]، وهو مايشير اليه الشاعر بقوله:

ووال انـــاسا قـــولهم وحـــديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري[2]

وهكذا نجد ائمة اهل البيت عليهم السلام يطبقون شريعة الله وسنة جدهم النبي ﷺ المروية بطرقهم، التي هي اقرب الطرق، ومن هنا نستنتج القول بأن السنة النبوية تلازم التشيع، فكل من استن بسنة رسول اللة ﷺ الصحيحة فهو متشيّع، وكل من شايع اهل بيت رسول الله ﷺ فهو مستن بسنته ﷺ، وما فرّق المسلمين فرقا متناحرة سوى الاطماع والاهواء والبدع، أعاذ الله المسلمين شرها.

وان الاسلام يجمع شمل المسلمين بمختلف الوانهم وقومياتهم واحسابهم، فهم جميعا يعبدون ربا واحدا، ويعتقدون محمدا ﷺ نبيا، والاسلام دينا، ويصلّون الى الكعبة قبلة، ويتلون قرآنا واحدا.

وحّد اللة كلمة المسلمين لما فيه خير الدنيا والدين، آمين رب العالمين .

---

(١) الكافي ١ : ٥٣، ح ١٤.

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٠٧.

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

614-1-2